العـــابد المثالى

« الفجر »

من وراء الظـلام أقبل يسرى ... عابد فى ثيابه البيضـاء
وعلى وجهـه يرفُّ صفاء ... مستمَدٌّ من قلبه الوضَّاء
أينما سار فالظـلام ضياء ... عبقرىُّ الأطياء، واللألاء
جاء يسرى، والبدر فى الأفق يسرى ... كسُرى المستهام فى الظلماء
تارة يأمن العيون فيبدو ... فإذا خاف جِدَّ فى الاختفاء
ورياح المسـاء تبعث نجوا ... ها لروح الطبيعة العـــذراء
فتثير الحنين فى كل قلب ... من قلوب العشاق والشـعراء
وأنا جالس على الربوة الخض ... راء ، والروح سابح فى الفضاء
ساهر أنظم الحياة بروحى ... فى قصيد يزهو بحسن الآداء
وأبث الوجود أشواق نفسى ... لعهود قد أمعَنتْ فى التنائى
وأغنىِّ ، وياله من غناء ! ... ثم أبكى ، وياله من بكاء !
ظلَّ يسرى حتى أتى الغاب فانسا ... ب إليه كالجـــدول المترائى
ومضى فى رحابه مستشِفًّا ... كل ما فيـه من بديع الرُّواء
وقفـــة عند أيكة تتجـــلى ... عن غرام محبب وغنـــاء
عند غصـن يداعب النور عطفيـ ... ـه ، فيغضى وينثنى فى حياء
وتريق الندى عليه النسيما ... تُ فيهـــتز هزة الحسناء
عند زهر يلوح كالشفق الحـــا ... لم بين الســـحائب الشهباء

عند نهر كأنه الأمل البيضا (م) م يبدو فى ظلمه البأساء
نام فى روعة العروس تعرّتْ فبدا نور جسمها الوضّاء
وعلى الجدول الذى راح يصغى فى ذهول إلى حديث المساء
وقف العابد التقىّ يصلى للإله العظيم رب السماء
ويناجيه فى خشوع عميق كنبى فى ساعة الإيحاء
قال : يا خالق الوجود جميلا لقلوب إلى الجمال ظِماء
إن هذا الجمال يغمر نفسى بضياء الهدى ، ونور الصفاء
إن هذا الجمال يسمو بروحى فى رِحاب طليقة الأرجاء
فأرانى بها هزارا طليقا لا ينى طائرا صباحَ مساء
هزّ أشواقه نداء خفىٌّ فهفا هائما وراء النداء
عائدا للخفاء موطنه النا ئى ، وقد جاء من ضمير الخفاء
كسفين أضلّه البحر دهرا وهداه السُّرى إلى الميناء
وأرانى بها شعاعا طليقا يتسامى بالشوق نحو العلاء
هائما سابحا إلى الشاطئ النا ئى على موجة من الأضواء
إن هذا الجمال لحن عميق ساحر الجرس ، فاتن الأصداء
أنت أبدعته فكان نشيداً هز روحى وخافقى ودمائى
هو بين السهول همس ونجوى وهتاف فى القمة العلياء
كل ما فى الوجود يروح جميل رائع فى الظلام أو فى الضياء
ساحر فاتن خريفا وصيفا مشرق فى الربيع أو فى الشتاء
غير أن العيون لا تسبر الأعـ ماق . . . بل تستقر فوق الماء
وأنا أبصر الوجود بروحى فأرى كل ما به من بهاء
يا إلهى لأنت نبع حياتى وحياتى من أعظم الآلاء
فلك الشكر يا بديع البرايا ولك الحمد مبدعَ الأشياء
يا إله الوجود تلك صلاتى مِلْؤها نشوتى ، وهذا دعائى
فتقبّلْهما مناجاةَ روح برئتْ من نوازع الأهواء
واعف عنى إذا تبينْت عجزى فأنا من عبادك الضعفاء
واغتفرلى أن لم أحط بك علما أنت فوق النهى ، وفوق الذكاء
ووداعا يا أيها الغاب حتى يأذن الله بيننا باللقاء

ومضى العـابد التقى من الغـا ـب إلى أفقـه العميق النائى
واختفـى فى فضائه كشعاع أدركته غياهب الظلمـاء
فاستفاق الوجود من نشوة الحبِّ (م) وهبَّتْ عنـاصر البغضاء
واستسرَّ الهدوء فى الضجة الكبـ ـرى، وغاب السكوتُ فى الضوضاء

ابراهيم محمد نجا